جد محدودة، وحدها الكامنة من وراء التصفيق، في وقتنا الحاضر، لرواية ما، هذا التصفيق الذي يدغدغ الكثير من «أوهام» النقاد البورجوازيين الصغار، وعلى أساس هذه الدغدغة تنطلق أحكامهم «التقييمية» وتنهال.

خامساً: يتناقض وادي عند اتهامي «بالعجز عن فهم الواقع» (ص ١٢٣)، وهذا هو الوهم في نظره. وبعد سطور قليلة عندما يؤكد «تعزيزي الأيديولوجي للهم الوطني بالهم الطبقي» (ص ١٢٣) لينفي من حيث لا يريد، من خلال العلاقة ما بين «الهم والوهم» هنا، «عجزي» المذكور، وليؤكد من حيث لا يريد أيضاً وضوح رؤيتي.

سادساً: لا يتوانى وادي، عند «بحثه» عن القيمة الفنية لأعمالي، عن اتهامي بتحويل الواقع «**عن سبق تعمد**» (ص ١٢٢) إلى وهم كاذب، كأي محتال أو مجرم يعمد إلى فبركة جريمته، والمقصود هنا، بالطبع، **تعمدي** لإعطاء أدب يزور الواقع ويعمل جاهداً كأي انعزالي ولا وطني دون تحوله، ودون انتصار قضية القوى العادلة فيه (!).

سابعاً: لا يتوانى وادي عن استعمال كلمات نقدوية استفزازية مثل «هاجس التكديس» «سقطت فريسة التكرار»، «اجترار»، «استهلاك»، «خذلان»... الخ (ص ١٢٢). هذا ما يحيل النقد عن «سبق تعمد» واضح هنا إلى أداة عدائية وايديولوجيا كاذبة.

ثامناً: يتهمني الناقد وادي بأنني «شغوف بالرمز» (ص ١٢٣)، وأنني أبحث عن «المعادل الرمزي الذي يوازي الخيوط الواضحة للواقع، أي أحداثه الكبرى ومفاصله التاريخية التحولية» (ص ١٢٣)، ويا لها من «تهمة» أتقبلها بصدر رحب، لأنها في حقيقتها ليست تهمة بل اطراء، والرمز في طبيعته هو اغناء للعالم الأدبي، ولأن هذه هي حقيقة الرمز في العديد من الروايات، بل في معظمها، ابتداءً من «زينب» محمد حسين هيكل و«زهرة» ميرامار نجيب محفوظ، مروراً «بأم سعد» غسان كنفاني وكل شخصياته الاخرى، وانتهاء «بميليشيا» توفيق فياض و«عشاق» رشاد أبو شاور أو «متشائل» إميل حبيبي و«ليد مسعود» جبرا ابراهيم جبرا و«كريم ناصري» عبدالرحمن مجيد الربيعي، وكذلك شخصيات فيصل حوراني في «بير الشوم» والشخصية المحورية الرمزية الرائدة في «ياطر» حنا مينه. ولأذكر في الأدب العالمي ما تمثله شخصيات بريشت وغوركي وهمنغواي وحتى سارتر من رموز لنماذج جد مؤطرة.

لا، على الرمز ألا يُفسَّر «عقلانياً» إلا في دلالاته البعيدة. وبامكان الرمز أن يتعدى الشخصية التي هي في العادة تمثل شريحة اجتماعية أو حزباً أو موقفاً سياسياً إلى المكان ذاته، المكان «كحالة فكرية»، وهذه هي القرية الفلسطينية عندي، قرية تستطيع أن تستوعب «المأساة» التي تعالجها الرواية من كل نواحيها التمثيلية. إنها ذات القرية عند غابرييل غارسيا ماركيز بشكل من الأشكال. لماذا يقبلها وادي في «مئة سنة من العزلة» ويشوهها في «الباشا»؟ وماذا سيكون موقفه عندما يراها في روايتي «المسار» التي صدرت - ويا للحظ - بعد دراسته، والتي ستفاجئه حتماً إذا لم يكن مستعداً لقبولها كرمز شمولي دينامي عريض؟

لقد استطاع عبدالرحمن بسيسو - ومن قبله دانييل ريج، المستشرق في السوربون، والدكتور فيصل دراج - لقد استطاع، في دراسته العلمية، وبسبب من حساسيته الثقافية الواسعة، أن يقف على أبعاد هذا الرمز عند تحليله «للعجوز»، متوصلاً إلى الرأي المعاكس تماماً لرأي فاروق الوادي. وهذا ما يضع نقده موضع التشكيك، ويهز فيه اطلاقية طابعه الفوقي.

تاسعاً: وفي النهاية، يحل الناقد وادي محل التاريخ، ويصدر، وقد غدا التاريخ، حكمه النهائي، عندما يقول عن أدبي إنه «أدب سيء» (ص ١٣٣) ويستشهد، على ذلك، بعبارة مبتورة من قول لغابرييل غارسيا ماركيز لتؤكد غاية في صدر يعقوب، كما هي العادة، دون أن نعرف موقعها من حديث ماركيز العام ولا مصدرها، عندما يقول، أيضاً أن أدبي «يساهم في عرقلة مسيرة النضال الفلسطيني نحو التحرر